عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد التاسع - العدد الرابع - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

٤

القرن الخامس عشر الهجري

الأبحاث والدراسات

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أثر الفكر العربي ـ الاسلامي في الفلسفة الغربية

تأليف الباحث التركي

ضياء اولكن

ترجمة

عبد الصاحب عبود السعدي

بغداد ـ حي المعلمين ـ بزايز الصليخ

نشأ الدين والفلسفة الاسلاميان خلال الفترة مابين القرنين السابع والعاشر للميلاد . واكتمل وضع مصنفاتها المهمة التي بدأت تؤثر في الغرب خلال القرن الحادي عشر والى القرن الثالث عشر للميلاد ، ممهدة بذلك السبيل لحركة احياء العلوم (Renaissance) ، التي كانت عاملا مؤثرا في خلق الحضارة الغربية المعاصرة . وما بين القرن التاسع وحتى القرن الحادي عشر للميلاد نضج العلم والفلسفة الاسلاميان واخذا بفضل ذيوع حركة الترجمة بالتوغل في الغرب عن طريق صقلية والاندلس منذ القرن الثاني عشر فصاعدا . وبذلك ابتدأت في الغرب حقبة تميزت بحركة واسعة للترجمة . فترجم دون يوسف انطونيو بانكويري (Done Jose Antonio Banqueri) كتاب (الخلاصة) لابي زكريا العوام والذي ضمنه مباديء علم الزراعة . كما وضعت الطرق العلاجية ، لـ (ابو القاسم خلف ابن عباس) الذي احترمه الغربيون احترامهم لجالينوس ، موضع التطبيق في الغرب . واعتبر اللاتينيون (ابن زهر) اعظم عالم في حقل الصيدلة اما في الرياضيات فقد دابوا باستمرار على ترجمة الكتب الاسلامية الى درجة انهم استغنوا انذاك عن الرياضيات الاغريقية . وقد تم اطلاعهم على الرياضيات الاسلامية الاساسية عن طريق عرب الاندلس . وبناء على ماتقدم فانهم اولوا ، بالدرجة الاولى ، المؤلفات الاسلامية في الطب والصيدلة وبعدئذ في الرياضيات اهمية كبيرة . ثم تلا ذلك الاهتمام بالكتب الفلسفية . لقد كان من اوائل الرياضيين المسلمين الذين تعرف عليهم اللاتينيون هم (ابو سعيد عبد الرحمن بن يونس)و (ابو علي) الملقب بالحسن و (محمد بن جابر البتاني) . وفي مجال الموسيقي فقد كانت الموسيقى الغربية ، قبل تأسيس العلاقات مع المسلمين ، تتألف بصورة رئيسية من الترانيم الكنسية ، فالموسيقى الشرقية الاسلامية هي المسؤولة عن اعطاء الموسيقى الغربية عمقا، عن طريق النوطة الثابتة (Fixed - note) استخدم المسلمون ولاول مرة المفتاح او السلم الموسيقي (Sole - Key) ونوطات ذات خمسة اسطر ووضعوا مؤلفات في فن الموسيقى مثل : ـ (كتاب الموسيقى) للفارابي و (مجموعة الالحان) لابي الفرج علي بن محمد واللذين تمت ترجمتهما آنذاك . هنالك في طليطلة وثائق تاريخية تدل على تأثير الموسيقى الاسلامية ، ففي مصنف كتبه (الفونسو لي سافان Alphonso le - Savan) انذاك ورد ذكر نوطة موسيقية الفها راهب من الرهبان يدعى (كوي دي اريزو Guy d' Arezo) كما ورد ان تلك النوطة كانت ذات خمسة أسطر وقد اقتبسها الراهب المذكور من مسلمين سبقوه واستنادا الى المعلومات الواردة في المؤلف الآنف الذكر يمكن القول بأن الحانا اسلامية ونظريات موسيقية من الشرق قد ساعدت على تحرير الموسيقى الغربية من محدودية الترانيم الكنسية .

تأسست مدرسة سالرنو (Salerno) على ايدي المسلمين باديء الامر واستمرت بأيدي الايطاليين بعد ان تحققت لهم السيطرة عليها . وظلت هذه المدرسة مركزا من مراكز حركة الترجمة

الفعالة . ولما برزت هذه الترجمات الى الوجود تسربت كلمات عربية كثيرة الى اللغات الغربية ومن بينها تلك المصطلحات المتداولة في الكيمياء مثل الامبيق (alambic) والقلي (alkalis) والقلوي (alkalin) والكحول (alkool) والقرمز (alkermes) والكيمياء (alchimie) وفي الرياضيات مثل اللوغاريتم (alkoritmi) والجبر (aljebra) والصفر (zero ' chiffer) وفي الزراعة والحياة اليومية مثل السكر (Sucker) والقطن (Cotton) والزعفران (Safran) والاترجات (artichaut) والبرتقال او النارنج (Orange) والشراب (Sirop) والموسيقى (music) والكهف (alcove) واامير البحر (amiral)

كان الهنود اول من استعمل الارقام ، واطلق اقدم رياضيي العرب ، ومن بينهم الخوارزمي ، عليها اسم الحساب (الهندي) . وقد شاع استعمال مصطلح الحساب الغباري في الاندلس . واساس هذا النوع من الرياضيات هو : تقسيم الدائرة بقطرين متعامدين على ان ترمز اجزاء مختلفة من نصف القطر بعدئذ الى الاعداد من واحد الى تسعة واعتبار الدائرة ذاتها صفرا . ان انتقال هذه الارقام الى اوربا بعد اجراء بعض التحويرات عليها أدى الى نشوء الارقام الحسابية المعروفة المتداولة في الوقت الحاضر والاستعاضة بها عن الارقام الرومانية القديمة . اما الورق فقد شاع استعماله ، ولاول مرة ، في الصين بين الاتراك وحينما وصل قتيبة بن مسلم ، سمرقند كانت توجد فيها آنذاك مصانع صغيرة واخرى كبيرة في الصين لصناعة الورق ، وبعد فترة قصيرة شرع يوسف بن عمرو المكي بصنع الورق من القطن بدلا من الحرير . وفي عهد هنري الثاني كان الناس في جميع انحاء اوربا يتحدثون عما يسمى الورق الدمشقي (Damucus - Paper) وبين عامي ١٢٧٠ ـ ١٣٠٠م وصل الورق لاول مرة الى اوربا . ومن الصين اقتبس المسلمون البوصلة والبارود ، وعن طريق الغرب بلغا اوربا . اما الادعاء بأن : سيوجا دي امالفي (Cioja de Amalfi) اول من اخترع البوصلة فهو ادعاء مجانب للحقيقة . وبالنسبة للطباعة فأن الصينيين اول من عرفها بشكل بدائي هو الطباعة الحجرية (Litograph) ، وعلى ايدي العرب تطور هذا النوع من الطباعة . وعن طريق الاندلس عرفت المجتمعات الغربية طباعة الحفر على الخشب بحروف ثابته ، ثم تطورت في عهد كوتنبرك فبدىء في حفر حروف منفصلة .

بانتشار الحضارة الاسلامية نحو الاندلس وصقلية انشىء كثير من المدارس العالية (Seminaries) والمراكز العلمية والفلسفية في هذه الاقاليم الجديدة الواقعة قرب التخوم الغربية . وقد نشأت اول مدرسة ذات طبيعه جامعية ضمن حدود العالم الاسلامي ألا وهي المدرسة النظامية في بغداد ، التي اسسها الوزير السلجوقي نظام الملك ، وسرعان ماتلت هذه المدرسة ـ التي تأسست بتظافر جهود الخلفاء العباسيين والامراء السلاجقة لمناهضة الحركات الباطنية والاسماعيلية التي هددت العالم الاسلامي آنذاك ـ مدارس اخرى كالمدرسة المستنصرية والكمالية وغيرهما . وعلى غرار هذه ، ظهرت مدارس مماثلة في الممالك الاسلامية المجاورة للغرب فكانت مدارس قرطبة واشبيلية وطليطلة وكل منها كان جامعة عظيمة . كما لم تكن لمجرد التلقين بل ومؤسسات لاجراء البحوث والدراسات المختلفة . فالى مدرسة السلطان (Sultan - Seminary) ينتسب مشاهير الاطباء والفلاسفة والرياضيين المسلمين، ومن المدارس الشهيرة ايضا هي مدرسة (ابن عذر) . بلغت هذه المدارس حدا من الشهرة وذيوع الصيت بحيث اخذ يؤمها تلامذة يهود ومسيحيون ممن يرغبون في التعلم . ومعروف لدينا ان بعض اطباء المسلمين قد استدعوا الى اوربا للتطبيب ، كما شد الرحال الى البعض الاخر منهم . فسانخو الاول (Sanch I) احد ملوك النمسا قصد قرطبة عام ٩٥٩م لغرض المعالجة والاستشفاء من مرض السمنة (hydroposie) وزار المدارس الاسلامية هناك . وممن تولى التدريس في هذه المدارس ابن زهر لتدريس الصيدلة وابن يونس لتدريس الرياضيات وابن باجة وابن طفيل وابن رشد لتدريس الفلسفة . ومقابل هذه المدارس الاسلامية الساعية لنشر المعرفة الاسلامية أنشيء عدد من الجامعات المستقبلة (Recipient - Universities) في الغرب، ومن اشهر هذه الجامعات واعظمها شأنا جامعة سالرنو في ايطاليا ، وجامعتا بولوني ومونبيليه في فرنسا . اذ في هذه المؤسسات تم انجاز جميع الترجمات من اللغتين العربية والعبرية (hobrew) الى اللغة اللاتينية . وكانت هذه الجامعات اشبه ، تماما ، بمستقبلات للمعرفة وقد أنشئت بهدف التقاط واستلام العلم الذي تشقه وتنشره المدارس الاسلامية .

وفي حوالي نهاية القرن الحادي عشر للميلاد بدأ اهتمام اوربا يتجه نحو الشرق ، ذلك لبروز

عوامل حتمت ايجاد علاقات مع العالم الاسلامي منها: مدارس صقلية والاندلس والممالك الصليبية في الشرق وعدم كفاية الجهاز العلمي المدرسي (Scholastic) القديم بالقياس الى كثافة واكتظاظ السكان . ففي فرنسا وبخاصة في نور مندي ظهرت النزعة العلمية بين الرهبان . فملك فرنسا روبرت الكابي كان باديء الامر من اتباع جلبرت في وقت ما ، ومحبا كذلك لارباب العلم وحينما غزا جنوب ايطاليا وكالابريا (Calabria) اطلع على المدارس الاسلامية هناك واقتبس أشياء كثيرة منها وبذلك عملت مدارس صقلية ونابلي كوسيط لانتقال العلوم الاسلامية الى الغرب على مراحل :ـ

١ ـ المرحلة الاولى وفيها نلاحظ ان تلامذة كثيرين من ايطاليا واسبانيا وجنوب فرنسا قد التحقوا بالمدارس الاسلامية طلبا للعلم والثقافة . وبعد ان درس هؤلاء ، الرياضيات والطب والفلسفة والكونيات (Cosmogrphy) اصبحوا المرشحين لمناصب التدريس في اولى الجامعات الغربية التي نشأت فيما بعد .

٢ ـ المرحلة الثانية وفيها تأسست اقدم الجامعات الغربية على نمط الجامعات الاسلامية ، حيث كانت مناهجها وطراز بنائها وطرق التدريس فيها مشابهة تماما لنظائرها في تلك المدارس ان اقدم مدرسة عالية تأسست في اوربا هي مدرسة سالرنو في مملكة نابلي وقد شملت مقرراتها وحدات من الدروس (Courses) في اللغة والخطابة والمنطق والحساب والموسيقى والهندسة والكونيات . وعن طريق سالرنو دخلت مؤلفات ارسطو وشروحها الى ايطاليا . اشتهر فردريك ملك ايطاليا بكونه راعيا للعلوم وقد أسس مدرسة في مدينة نابلي ، وبأمر منه نقلت مؤلفات ارسطو من العربية الى اللاتينية وكانت له مراسلات مع ابن سبعين حول بعض القضايا الفلسفية . وفي اسبانيا امر الفونسو الاول (Alphonso 1) ملك قشتاله وليون بصنع جداول فلكية (أزياج) بالاعتماد على الدراسات (البحوث) الواردة في المؤلفات الاسلامية . وفي ذلك الوقت تم انشاء مدارس مهمة مماثلة في انحاء مختلفة من اوربا وهكذا انتقل العلم الجديد حتى بلغ انكلترا والمانيا . ومنذ القرنين الثاني عشر والثالث عشر لم يترجم من الكتب الاسلامية الا تلك التي امكن العثور عليها فقط . ونظرا لندرة النسخ الخطية لمؤلفات الفلاسفة المسلمين لم يستطع اللاتينيون من الحصول عليها واقتنائها . ذلك لان عددا من هذه المصنفات قد تعرض للضياع والتلف بسبب الحرائق والغزوات . كما ينبغي ان نضع في بالنا ان المختارات التي اصطفاها الغربيون من بين المؤلفات الاسلامية كانت بدافع انطباق محتويات ما اختاروه منها مع معتقداتهم وآرائهم بصورة كلية .

ومن بين اهم الشخصيات التي برزت في حقل الترجمة خلال القرون الوسطى هي شخصية جندیسالفي (Gundissalvi) ـ ت ـ ١١٥١م ـ . فبالاضافة الى ترجماته الوفيرة الف هذا الرجل ـ الذي كان الزعيم الروحي لاسقفية سيكوف (Secove) مؤلفا بعنوان (De Division Philosopnia) ترسم فيه خطا فلسفة الفارابي . وفي هذا المصنف استبدل جندیسالفي نظام المعارف الحرة السبع الثلاثية والرباعية (Trivium et Quadrivium) والتي جرى العمل بها كتقليد ثابت في الغرب خلال القرون الوسطى مستعيضا عنها بالتبويب الموسوعي للفارابي ذلك التبويب الذي كان منسجما مع فلسفة ارسطو وكان جندیسالفي امينا ومطابقا للفارابي في توضيحه وتصنيفه العلوم . وكان لهذا التبويب المبتكر، والجديد للغاية بالنسبة للغرب ، تأثير بالغ استمر مدة طويلة في الجامعات التي تاسست في تلك الحقبة وقد أثرت ترجمات جندیسالفي الانفة الذكر في الفلسفة المسيحية المدرسية (السكولاسية) التي انتعشت حديثا خلال القرن الرابع عشر الميلادي . حيث تجلى هذا التأثير بصورة خاصة في القديس توماس والبرت الكبير . وقد اثبت روبرت ـ هاموند (Robert - Hammond) مؤخرا وجود هذا التأثير في الفلسفة المسيحية في مقارنة عقدها بين ادلة القديس توماس عن وجود الله بمثيلتها لدى الفارابي . راجع :

(R. Hammond, The Philosophy of Al Farabi and its influence on Medeival Thought, New - York. 1948).

وكان الفيزيائي العربي العظيم ابن الهيثم في الوقت ذاته ، متشككا وقد قادته بحوثه عن الضوء الى سيكولوجية المدركات الحسية (Perception) ثم تطورت نظرته الفلسفية من الشك الى نوع من النقدية (Griticism) . اشتهر ابن الهيثم في الغرب باسم (الحسن) واشهر مؤلفاته هو كتاب (المناظر) الذي ترجم الى اللاتينية ، واختصره كمال الدين ابو الحسين الفارسي باسم (تنقيح المناظر) . برع ابن الهيثم في علوم عصره ، واجرى مقارنة بين فلسفة كل من الكندي والفارابي والرازي من جهة وعلوم حنين وثابت والفرغاني وسهل ابن بشر والبتاني من جهة اخرى . ومع ذلك فانه مدين للفارابي بتحوله من الشك الى مذهبه (ايديولوجيته)

من التركيب ـ الاستدلال ـ . توفي ابن الهيثم عام ١٠٢٠م في القاهرة . كانت ترجمة بعض مؤلفات ابن الهيثم التي الفها في فترات الشك والتجريب من حياته الى اللغة اللاتينية ، عاملا مؤثرا في ظهور آراء روجر ـ بيكون العلمية ، هذا بالاضافة الى ما استفاده العلم الغربي من بحوث ابن الهيثم المستفيضة في حقل البصريات (Optic). لذا يتوجب ان نتذكر ان ابن الهيثم يؤشر بداية علم الفيزياء الحديث وكذلك بداية التجريبية (empricism) في الغرب . وكان دوره في تأصيل التجريبية اعظم من دور الرازي . سعى ابن الهيثم جاهدا لان يوضح دور الاستقراء(induction) واثره في القياس المنطقي (Syllogism) وانتقد ضآلة ما يقدمه المنطق الارسطوطاليسي من دور في هذه القضية ، حتى اعتبر الاستقراء اجدر بالاولوية والتقديم من القياس المنطقي ووصفه بكونه الشرط الاساس للبحث العلمي الصحيح .

يمكن اعتبار ابن سينا قمة المدرسة المشائية هذه الحركة التي بدأت مع الفارابي وتكامل نضجها في شخص ابن سينا . وكان تأثير ابن سينا عظيما للغاية في الغرب . ففي عهد الترجمات الى اللاتينية كان الكثير من مؤلفاته معروفا لدى الغربيين . وقد ترجم اشهر مؤلفاته الشفاء الى اللاتينية باسم الكفاية (Sufficientia) الذي طبع خلال القرن السادس عشر الميلادي . وفي عام ١٩١٢م ترجمه ماكس ـ هورتن (Max-Hortein) من اللاتينية الى الالمانية تحت عنوان

(Das Buch des genesung der Selle)

ولكن الترجمة الالمانية والنص اللاتيني الذي نقلت عنه ناقصان . وثاني كتب هذا الفيلسوف هو الموسوم بكتاب النجاة . وقد نشر ؛ ن ـ كارامو (N. Caramo) نصه اللاتيني في روما عام ١٩٢٦م تحت عنوان **(Melaphisica - Compenedium.)** هذا ولم تتيسر ترجمة ونشر كتابه الاشارات الا عام ١٩٥١م على يد كواشون (Goichon) والذي اسماه كتاب التوجيها تو التعليقات :

(Le Livre des Directives et des Remaques).

اما كتاب النفس لابن سيناء فقد ترجمه الى اللاتينية اندريه ـ الباكو **(Andrea - Alpago)** عام١٥٤٦م ثم قام فون ـ دايك **(E. H. Von Dayak)** بترجمة الكتاب ذاته الى الانكليزية ونشره عام١٩٠٦م في ڤيرونا بعنوان **(Compendium of the Soul)** ونشر لانداوير (Landauer) ترجمته الالمانية عام ١٨٧٥م باسم علم نفس ابن سينا . كما برزت الى الوجود الترجمة الانكليزية للفصل السادس من كتاب النجاة عام ١٩٢٥م لـ (ف . رحمن) باسم علم نفس ابن سينا .

(Avicen's Psychology, by F. Rahman. vol. xxix ((1875)) EZDMG).

ان ذيوع صيت ابن سينا في العالم اللاتيني افضى الى تاثر الفلاسفة اللاتين بفلسفته . ويبحث ب. هاينبرك تفاصيل ذلك التأثير في البرت الكبير في مؤلفه : ـ

(Zur Erkennt nislehere von Ibn Sina und Albertus Magnus, 1866).

كما يوضح (دورموين) هذا التأثير بتفصيل اكثر في مقالاته التي نشرتها دار حفظ الوثائق (أرشيف) التاريخية والادبية .

آمن الكثير من الفلاسفة المسيحيين لتلك الفترة بنظرية ابن سينا في المعرفة بدلا من نظرية ارسطو . وفي استطاعتنا ان نلحظ ذروة تنامي الاقبال على ابن سينا وترجيحه في كشف (illuminism) روجر ـ بيكون بصورة خاصة .

واخيرا نجد ان هذا التأثير سيكون اشد واقوى من الفلسفة الاوغسطينية بالذات . فتصنيف (Classification) الفارابي وابن سينا لانواع العقول يسود مؤلفات البرت الكبير ، وان القديس توماس كان متاثرا بهذين الفيلسوفين حتى اثناء نقده اياهما تماما كما كان الغزالي متأثرا بهما في كثير من القضايا اثناء رده عليهما .

اشتهر ابن سينا لدى الغرب بفضل جهود يوحنا والملقب بالاشبيلي (Hispalenisis) كما ورد ذلك في بعض ترجماته . وقد ترجم هذان الرجلان وجنديسالفي بعض كتب ابن سينا ومن بينها كتاب النفس . وعلى يد يوحنا ايضا تمت ترجمة بعض من مؤلفات ابن سينا من الالهيات ، (Metaphysics) . وقد جمع الاشبيلي هذه الترجمات تحت عنوان المجاميع(Opera)وتم نشرها في البندقية مرتين : الاولى عام ١٤٩٥م والثانية في عام ١٥٠٠م . وفيما يلي الكتب التي اشتملتها مجاميعه (Opera) : ـ

Logika	١ ـ لوجيقيا ـ المنطق ـ
Sufficienlia	٢ ـ الكفاية ـ
De Coelo et Mundo	٣ ـ
De Anima.	٤ ـ النفس ـ
Intellegentia.	٥ ـ العقل ـ
De Animalibus	٦ ـ الحيوانية ـ
Philosophia - Prima	٧ ـ فلسفة الاولى

أن ترجمة معظم مؤلفات ابن سينا أدت ، دون شك ، الى نضير ملحوظ في التفكير الغربي . وقد بحث أ. جلسون (E. Gilson) تاثير ابن سينا في دونز ــ سكوت في مقالته التالية :

(Avicenna et le point de départ de Duns - Scot. Arch. 1972).

وبالاضافة الى ماتقدم كان لارائه في النفس وتعريفه وتصنيفه اياها ، تأثير كبير ، فهو يعرف النفس ، كارسطو، بوصفها نضوج للاجساد والصورة (form) والعقل (enteléchia) ، كما يعرفها ايضا كجوهر (Substance) مستقل ومنفصل عن المادة (Matter) ان التعريف الثاني الذي يورده ابن سينا للنفس ، يؤشر بداية المفهوم القائل بجوهر النفس واستقلالها عن المادة وهو المفهوم الذي سيجد صفته المتكاملة لدى ديكارت (Decartes) .

ولكي يبرهن الفيلسوف المسلم على ان النفس (Soul) شيء مستقل عن الجسد نجده يتعمق ويسهب في شرح التعريف الثاني للنفس ويورد حججا (arguments) لتأييد ذلك ، مثل الوحدة (Unity) والتماثل (identity) وغير ذلك من البراهين التي استخدم بعضها الفلاسفة الغربيون من بعده ، وحتى مثل الرجل الطائر (flying-man) الذي يورده ابن سينا كدليل لاثبات جوهرية ـ ماهية ـ الروح وسبقه اليه الفلاسفة المتقدمون ، دون ريب ، نجده مستخدما وبنفس الاسم في الغرب من قبل بونيفينتور (Bonoventure) والفلاسفة الذين تلوه ــ جاءوا بعده كافة ، كبرهان يطلق عليه اسم دليل (الرجل الطائر) ، وفي الختام تجدر الاشارة الى ان ابن سينا انطلق بفلسفة (الكشف) (illumination) التي تطورت بفعل مؤثرات من الافلاطونية الحديثة الامر الذي مهد السبيل لظهور اتجاهات متعددة في الغرب خلال العصر الوسيط . فاستنادا لابن سينا : ان العقل الفعال لا يحتوي على الصورة المعقولة (Intilligible - Form) بشكل ملكات وقدرات ذهنية فقط ، كما يقول الفارابي بل وبشكل فعل (acte) ايضا .

اشتهر الفيلسوف المشائي الاندلسي (ابن باجه) في العالم اللاتيني بأسم اڤمباسى (Avambacci) ولسوء الحظ ان مولفاته في العربية واغلب ترجماتها قد ضاعت ، ورغم ذلك كان الفلاسفة اللاتين سببا في تعريف الغرب به . فقد أدرج موسى النربوني (Moise de Narbonne) وهو فيلسوف لاتيني عاش خلال القرن السادس عشر في احد مؤلفاته ، فصولا من كتاب ابن باجه « التدبير المتوحد » . وبسبب النربوني عرف ابن باجه في الشرق والغرب على حد سواء . هذا وقد ساعد كتاب « التدبير المتوحد » في تطوير آراء ابن طفيل أيضا .

عرف ابن رشد في العالم اللاتيني في الغرب باسم (اڤيروس ــ Averroes) . وقد ترجمت جميع مؤلفاته تعريبا الى اللغة اللاتينية . واصبحت شهرته في العالم اللاتيني اوسع مما هي عليه في العالم الاسلامي . ويعد ابن رشد اعظم شرح لارسطو في العالم ، ولم يقتصر عمله على شرح ــ تفسير ــ أرسطو فحسب ، بل كان ايضا ذا فلسفة اصيلة متميزة وقد استمر الاتجاه الفلسفي الذي ظهر في الغرب باسم « الفلسفة الرشدية » قرونا عديده . وكان سيجر البرابنسوني **Siger ue Braban** الممثل الاخير لابن رشد في الغرب ، بينما كان القديس توماس اول من عارض فلسفة ابن رشد وتصدى لنقدها والرد عليها باسهاب . اعتبر ابن رشد شروح شارحي ارسطو السابقة تشويهات لاراء المعلم الاول لذا فهو يطرحها جانبا ويحاول شرح ارسطو كما هو على حقيقته وبمعزل عن اي اثر للافلاطونية الجديدة . لذا فان اولئك الذين كانوا يفتشون عن ارسطو الحقيقي من ابناء العصور ــ وعرفوا شيئا يسيرا عنه ممن سبق ابن رشد ــ اقبلوا بحماس على ابن رشد وفلسفته .

توهم بعض المستشرقين مثل كاسيرى (Cassiri) وروسي (Rosi) وجورديان (Jordian) ان ابن رشد أول عربي ترجم (ارسطو) وفي الحقيقة لم يكن ابن رشد يجيد الاغريقية او حتى السريانية ، ناهيك عن ان يكون المترجم الاول والوحيد له . اننا نعلم بان مؤلفات ارسطو قد ترجمت وشرحت على يد الكثيرين ممن سبق ابن رشد . بيد ان عمله العظيم هو الذي جعل ارسطو ذائع الصيت للغاية في اوربا . وقد نشرت نصوص ارسطو مشفوعة بشروح وتعليقات ابن رشد عام ١٩٥٢م في البندقية. ويزودنا ارنست . رينان (Earnest-Renan) في كتابه (ابن رشد والرشدية) باحصائية كاملة للمتون اللاتينية الواردة في هذا الثبت . وقد نبه رينان الى وجوب اضفاء الميزات التالية على ابن رشد وذلك بوصفه .

١ ــ طبيبا وقد حقق هذه الصفة في سلسلة مؤلفاته الطبية المسماة بالكليات (Coliget)

٢ ــ شارحا لارسطو وهذا متحقق باعتبارين هما :

أ ـ الطبيعة مشروحة بأرسطو

ب ـ ارسطو مشروحا بابن رشد

وبالاضافة الى شروحه العديد . ألف ابن رشد بالذات كتبا متعددة في الفلسفة والعلوم الاخرى هي:

١ ـ (تهافت التهافت) في الرد على (تهافت) الغزالي . وقد ترجم الى اللغتين اللاتينية والعبرية .

٢ ـ (فصل المقال) وهو من كتبه المهمة . وفيه ناقش العلاقة بين الدين والفلسفة. وقد ترجم الى العبرية ثم (منهاج الادلة) في الفلسفة وعلم الكلام وله ترجمتان لاتينية وعبرية . ومن كتبه الاخرى (المستوفي) وهو غير معروف في الغرب ايضا ، وفيه يلخص رسائل الغزالي في الفقه ولكن مجلداته الثلاث في القانون (law) والموسومة في اللاتينية بعنوان: **(Vigilia Super erroris in Textibu)** معروفة وشائعة .

٣ ـ الترجمة العبرية لمختصر المجسطي في الفلك وهي متوفرة . كما يوجد النص اللاتيني فقط لكتابه : ـ **(De Motuspheare celestis).**

٤ ـ بحوثه في الطب وقد جمعت بعنوان (الكليات) ، وترجمت هذه البحوث الى اللاتينية ونشرت في سبعة مجلدات بنفس العنوان . واصدر شامبيرا (Jean, P. Champiera) المجلدات ٢ ، ٤ ، ٧ في كتاب واحد بعنوان : (Coilectanea, de remedica).

هذا ولابن رشد شرح لاشعار ابن سينا في الطب ، والمسمى (العروضية) ويعد من اوسع مؤلفات ابن رشد شهرة . اما رسالته (الترياق) فتوجد لها نصوص عبرية ولاتينية .

ان سبب عدم اشتهار ابن رشد وذيوع صيته بدرجة كافية في العالم الاسلامي ونسيان مؤلفاته بعد موته يعزى الى كون ما نسخ من تلك المؤلفات في الاقطار الاسلامية وتداولته الايدي قليلا جدا وهكذا لم يكن مسلمو المشرق عارفين بها ، ثم ان ما لقيه ابن رشد في اواخر ايامه من نبذ واذلال ساعد على اغفال ذكره والتغاضي عنه . وسبب اخر مهم لذلك ، الا وهو اتلاف الكتب بأمر من شيمانيز (Ximanez) في الاندلس ، بحيث احرق من المخطوطات العربية في ميادين غرناطة ثمانون الف مخطوطة . وان كل ما تبقى من المخطوطات العربية هي تلك التي نسخت في المغرب . ذكر هذه الحقيقة ارنست ـ رينان (ص٨٠) والتي يؤيدها عدم عثور سكاليجر (Scaliger) على اية مخطوطة لابن رشد في الاندلس حوالي عام ١٦٠٠م رغم عدم قناعته بهذه النتيجة .

كان ابن طفيل الاندلسي فيلسوف الكشف (illuminism) ـ ١١١٠ ـ ١١٨٥م ـ معروفا في العالم اللاتيني منذ زمن بعيد جدا ، وقد ضاعت اغلب مؤلفات هذا الفيلسوف ، ربما خلال احدى حملات الاتلاف والابادة التي مارسها (شيمانيز) . بيد ان شهرته الواسعة تعزى الى قصته الفلسفية المسماة (حي ابن يقظان) . وكان ابن سينا قد تطرق لهذا الموضوع ، من قبل ، في مؤلف ـ كتاب ـ خاص نظمه ابن العبرية شعرا وشرحه ابن منصور . ومع ذلك فان كتاب ابن طفيل ، الذي تناول الموضوع ذاته، شيء جديد ومختلف تمام الاختلاف من حيث التعابير والافكار . سرد ابن طفيل في ذلك الكتاب قصة طفل لا ابوين له نشأ في جزيرة نائية في المحيط الاطلسي حيث ترعرع وحيدا ونمت مداركه العقلية نموا كاملا دون اية مساعدة من المجتمع والعالم المتمدن ، ومن ثم يذهب ابن طفيل الى انه لا حاجة للتعلم والتعليم للوصول الى حقائق ما وراء الطبيعة . قام ادوارد بوكوك الابن (Eduardo - Pocchio) بترجمة هذا الكتاب الى اللاتينية عام ١٦٧١م تحت عنوان : ـ **(Philosophus autodidactus sive epistolo ebn Tophail de Hai ebn Yakdhan)**

ونشر الكتاب مع النص العربي سوية . وقد الفت في الغرب كتب عديدة في نفس موضوع هذه القصة وبوحي منها . بينها قصة فرانسس ـ بيكون اطلانطس (Atlantis) وقصص خيالية اخرى كان آخرها قصة روبنسون ـ كروسو . ان اول ترجمة لهذه القصة ـ قصة حي بن يقظان ـ كانت الى اللغة العبرية وقد كتب (موسى النربوني) شرحا ممتازا لهذه الترجمة . وفضلا عن ذلك ، ترجم بوكوك ، القصة من اللاتينية الى الانكليزية مرتين. اما الترجمة الثالثة فهي عن الاصل العربي الى الانكليزية ، انجزها سيمون ـ اوكلي (Simon-Ockix) في لندن ١٧١١م وقد تم نشر نصها الهولندي في روتردام عام ١٦٧٢م ومرة اخرى عام ١٧٠١م . كما ترجمت الى الالمانية مرتين .. واخيرا نشر (كوثيه) الترجمة الفرنسية للكتاب مشفوعة بدراسة تحليلية موجزة عام ١٩٠٠م ان تعدد ترجمات هذا الكتاب ذات دلالة على تأثير هذه القصة البالغ في الفكر الغربي

(Westren - thought)

وفي سير استعراضنا للفلاسفة المسلمين ينبغي لنا ، اخيرا ، الاسهاب في شرح اثر **ابن خلدون فقد** انعقد الاجماع على اعتبار ابن خلدون الذي نشأ في شمال افريقيا في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي أبا لعلم الاجتماع وفيلسوفا للتاريخ ومؤرخا ايضا . فابن خلدون أول فيلسوف يخالف ـ وبكل ما في الكلمة من معنى ـ الفلاسفة المسلمين والاغريق في التأكيد على ان المجتمعات الانسانية لا تنبغي دراستها من وجهة نظر عقلية مثالية مجردة ، بل يجب تناولها كظواهر طبيعية (Natural - Phenomena) .

وردت آراء ابن خلدون هذه في كتابه (المقدمة) التي مهد بها لتاريخه الكبير (كتاب العبر) ـ وهو تاريخ البربر ـ الذي طبع لاول مرة في مطبعة بولاق بمصر وظهرت اول ترجمة له باللغة التركية من قبل بيري ، زاده ، صاحب ملا واحمد جودت باشا . لم يعرف الغربيون شيئا عن هذا الفيلسوف حتى بداية القرن الثامن عشر (١٨) الميلادي حيث يشير اليه ولاول مرة دي هربلو (d' Herbelot) في نهاية القرن السابع عشر في كتابه
(Bibliotheca - Orientalis)

واكد دي ـ ساسي (de. Sacy) على اهميته في بداية القرن التاسع عشر/م. وفي نهاية ذلك القرن كتب (هامر . بركشتال) عدة مقالات عنه وصفه فيها بـ (مونتسكيو العرب) وبعد بضع سنين ترجم كراشيه دي تراسي بضعة فصول من مقدمة ابن خلدون الى الفرنسية . ونشر كاترمير (Quatermér) النص الاصلي للمقدمة بعنوان (Prologomenés) وحاول ترجمتها بايجاز ولكنه لم يستطع اكمال ترجمته .

وبين عامي ١٨٦٣ ـ ١٨٨٦م نجح بارون دي سلين (Barone de Slane) في انجاز ترجمة كاملة لها . راجع (William Mac Guchin de Slane Prolégomemes, 3 vols. Paris 1863-1886)
وفي عام ١٩٣٨م طبعت هذه الترجمة طبعا تصويريا (Photo - Print) وقد جعلت هذه الترجمة في ميسور الفلاسفة وعلماء الاجتماع الاطلاع على نص المقدمة وتدارسه . ومنذئذ نبه ذكر ابن خلدون وكثرت الاشارة اليه في الغرب . فأكد البعض على اهميته واعتبروه المؤسس لعلم جديد . ولا زالت المقالات تدبج ، حتى الان في الغرب، لتقريضه والثناء عليه . فالبعض مثل رابابوت (Rappapot) و . فلنت (R. Flint) و ن . شمدت (N. Schmidt) يعتبره فيلسوفا للتاريخ .

بينما يذهب كومبلوتز (Gumpiwitz) ومونيه (R. Mounier) وفندق ـ اوغلو (Findukoglu) (ساطع الحصري) وكذلك (شمدت) الى انه رائد علم الاجتماع ووواضع اسسه . اما بوثول (Bothowl) فيرى ان ابن خلدون يجمع كلا الصفتين ويقرنه بالعلماء الموهوبين . وهو ، في رأيه ، زعيم المدرسة البيولوجية في علم الاجتماع والتي من انصارها فيكو (Vico) ومونتسكيو وماركس . هذا وقد نشر شولتز (F. Schultz) مقالات كثيرة عن ابن خلدون في المجلة الاسيوية ـ باريس ، عام ١٨٨٥م (Journal - Asiatique "Paris. 1885")
ومنذ نهاية القرن المنصرم اشار اليه ونوه بذكره عدد من العلماء منهم (روزنتال) و (كريمر) و (ليونك) و (بوثوول) و (ج . كبريال) و (كولوسيو) و (فيرير) و (كاري دوفو) و (ريجر) و (كوثيه) و (بومباسي) و (ماكدونالد) و (كب) و (التيميرا) وغيرهم اخرون . هذا وتنبغي الاشارة الى انه نظرا للاهتمام البالغ الذي حضي به ابن خلدون فقد اصبح لمذهبه في التاريخ والمجتمع تأثير بارز في العلماء المعاصرين مثل شپنكلر (Spengler) وفي فلسفته المسماة (فلسفة الانحطاط) وكذلك في بعض الفلاسفة الماركسيين او فلاسفة التاريخ مثل بريسك ولا يزال ابن خلدون موضع اعجاب وتقدير كل من (ساطع الحصري) في مصر و (اوغلو) في تركيا .

استفاد الغزالي من جمع الاشاعره في فصله الثامن عشر من كتابه (التهافت) في الرد على ابن سينا ولكنه ما ان تقدم قليلا حتى وضع هذه الحجج موضع الشك ونرى ان هذه النقطة كانت موضع نقد ابن رشد حين دافع ـ فيما بعد ـ عن ضرورة العلاقة العليه ـ السببيه ـ والعقل في كتاب (تهافت التهافت) . ووجهتا النظر هاتان التي تعارض احداهما الاخرى نادى بهما الفلاسفة المشائيون المسلمون والمتكلمون الاشاعرة باسم مذهب اليقين ـ يقينيات ـ (dogmatisims) ومذهب الشك (Scepticism) او الاستشراق العقلي (intellect orientedness) والتجريبية (empiricism) .

ان استحالة التغلغل في طبيعة الوجود (Being) وادراكه عن طريق العقل او الارادة

المطلقة ، استنادا الى نظرية الوجود قد ادى الى اشد المناقشات عنفا في العالم الاسلامي خلال القرون الوسطى وما زال تأثيرها مستمرا في الغرب حتى يومنا هذا . ان نظريات المتكلمين في هذا الصدد قد وردت في كتاب (تهافت الفلاسفه) للغزالي الذي ترجم الى اللاتينيه وشرحت باسهاب في دليل الحائرين لابن ميمون ، وعنوان ترجمته الى العبرية (More-Nobukhim) وترجم الى الفرنسية بنفس عنوانه في العربية .(Le Guide des égares). وقد اشار الى ذلك كل من ، البرت ـ الكبير في كتابه Physica الذي رد به على المتكلم (الاشعري) وكذلك القديس توماس في كتابه (Theologicum)

يأتي تأثير المتكلمين المسلمين في الغرب بالدرجة الثانية بعد تاثير الفلسفة الاسلامية . ويعزى ذلك الى الخلاف الموجود بين الديانتين . وبرغم ذلك كان المتكلمون المسلمون معروفين لدى الغرب ولو معرفة جزئية . ذلك لان بعضهم قد عرفوا عن طريق الفلاسفة المسلمين من ناحية ، ولان الغزالي من الناحية الاخرى كان معروفا في الغرب ، شان هؤلاء الفلاسفة ايضا . يشير القديس توماس الى المتكلمين المسلمين الذين ينقدهم في مؤلفه « الرد على الامم غير المسيحية » (Contra - genta) ، بوصفهم ثرثارين . ولكن ينبغي التنويه بان احاطته بهذا الموضوع ناقصة للاسباب التالية :ـ

أ ـ ان معرفته عن المعتزلة والمتكلمين الاوائل كانت معلومات غير مباشرة وليست مستمدة من مؤلفاتهم مباشرة .

ب ـ ان اساطين علم الكلام الفلسفي الذين جاءوا من بعد الغزالي كانوا مضمورين بالنسبة للغربيين ، فهم لم يعرفوا ، على سبيل المثال ، شيئا عن مؤلفات فخرالدين الرازي وابن تيمية وسيف الدين الآمدي وسراج الدين الارموي وسيد شريف الجورجاني وسعدالدين التفتازاني والخ . . . ، وعليه ليس بالامكان اعطاء وصف كامل عن اثر المتكلمين المسلمين في الغرب .

درس ميكول ـ اسين (Miguel - Asin) في الكثير من بحوثه تأثير الغزالي في الفكر الغربي . وكما اتضح سابقا ان هذا التأثير لم يكن مقصورا على اثر كتاب التهافت الذي نشر نصه اللاتيني خلال القرن الثاني عشر الميلادي فحسب ، وانما تحقق هذا التأثير ، في الواقع ، وفيما بعد ، عن طريق اخر الا وهو كتاب (المقاصد) الذي ترجمه جنديسالفي الى اللاتينية ، وهي الترجمة التي نشرت عام ١٥٠٦م في البندقية تحت عنوان : ـ

(Logica et Philosophia Algazeli's Arabis, Vinitti, 1506).

وفضلا عن ذلك تمت ترجمة كتاب (النفس الانساني) للغزالي الى اللاتينية ايضا .

وفيما يتعلق بتأثير الغزالي الانف الذكر والذي بحثه آسن بالاسيوس باسهاب في كتابه :

(La espirtualidad de Algazelx su Sentedo Cristiano).

فقد اتخذ صورا متعددة في مقدمتها التأثير غير المباشر المتمثل في ريمون ـ مارتي (Ramon - Marti) الراهب الدومنيكي والذي استفاد من مؤلفات الغزالي في الكلام والفلسفة . ويرى بالاسيوس ، ابتداء ، ان تأثر الغزالي نفسه بالمصادر المسيحية القديمة أمر ينبغي اخذه بنظر الاعتبار . وبالرغم من استحالة التدليل على الكيفية والوسيلة التي بهما انتقلت آراء القديس توماس الى الغزالي ، فمن المحتمل تماما ان هذه المؤثرات كانت شائعة الانتشار في الاوساط الفكرية التي نشأ فيها الغزالي ، ليس في ميسور (بالاسيوس) العثور على أي دليل تاريخي يؤيد صحة افتراضه آنف الذكر ، ولكن في حوزته الكثير من الوثائق التاريخية المؤيدة لانتقال مؤثرات فكرية من الغزالي الى الغرب . ومن نماذج هذا التأثير هي شخصية المؤرخ الفيلسوف ابن العبري (Bar Hebraues) والمعروف في العالم الاسلامي بـ(ابو الفرج) وهو من الاعلام المشهورين في القرن الثالث عشر الميلادي ورئيس كنيسة اليعاقبة السريان وله تاليف في اللغتين العربية والسريانية . فقد نقل هذا الرجل فصولا كاملة من كتاب (الاحياء) للغزالي وادرجها محورة في اثنين من كتبه هما : ـ

كتاب (Ethecon) وكتاب
(The book of the Colomb) .

ان هذا الحادث يؤشر اول تأثير للغزالي في الروحية (الاكليروس) المسيحي واذا كان مؤلف كابن العبري ، مع بالغ نفوذه في الكنيسة المسيحية ، يستفيد من الغزالي في صنع مؤلفات خاصة تعد من الاصول الاساسية للتعاليم الرهبانية ، فسبب ذلك ، في راي بالاسيوس ، هو : ـ ان الفريق الذي استشهد بأقواله ابن العبري كان ممن يحترم الاراء التي تنطبق انطباقا تاما مع معتقداته الدينية . ولكن ينبغي ان ننوه ، للتو ، بانه هو بالذات يجد في قصيدة لابي العلاء المعري وفي الاقوال المأثورة للامام

علي جذورا لحجج الفلسفة العملية (البراقماطيقية) حول الايمان بالحياة الاخرة ، التي كثيرا ما اوردها واستشهد بها الغزالي في العديد من مؤلفاته .

يبرهن فنسنك (Wensinck) في دراسته للغزالي على ان كتابي ابن العبري الانفي الذكر قد كتبا من حيث ترتيب فصولهما بصورة مشابهة لما ورد في كتاب (الاحياء) للغزالي . بالاضافة الى ان اراء الغزالي بالذات وحتى امثلته ومقارناته واحيانا العباراتوالشواهد الادبية والشعريةالواردة في كتاب (الاحياء) قد استخدمها ابن العبري ، بالضبط ودونما تحريف في ذينك الكتابين . وهنا يبرر آسين (Asin) ذلك بقوله : ــ ان ابن العبري قد فعل ذلك لان مثل هذه القضايا منسجمة ، في الواقع ، مع روح الديانة المسيحية من جهة ، ولان ابن العبري اراد اخفاء الاصل الاسلامي الذي اخذ عنه تلك الاراء من جهة اخرى . ولكن ليس هناك ما يدعو (آسن) اللجوء الى خلق تبريرات كهذه فيما يتعلق بهذه النقطة المتعلقة بتأثير ابن العبري بالغزالي ، وهي تبريرات تتناقض وبحثه القويم .

(Palaciose, M. Asin, Contacts de la Spitualité, Muslmane et de Spirtualité chretienne, dans L'Islam et L'occident, 1953).

يتعقب آسن تطور هذه الفكرة ، فكرة تأثير الغزالي في الغرب ، على النحو التالي : ــ اقتبس الراهب الدومنيكي رايمون ــ مارتي الاسباني والمعاصر لابن العبري الآراء ذاتها من هناكومن الغزالي مباشرة فبدلا من تعويله على الكتب الفلسفية وحدها لهذا الفيلسوف المسلم ، قد استفاد وبطريق مباشر ــ شأنه شأن اللاهوتيين المدرسيين ، السكولاسيين ، ــ من نصوص مؤلفات الغزالي الكلامية والعقائدية واستعان بها في تاليف اثنين من كتبه الدينية وهما كتاب : الدفاع عن الايمان (Fugic - Fidie). وكتاب (Explanto - Symboli) وكانتالنصوص آنفة الذكر التي نقلها عن الغزالي مستلة من (التهافت) و (المنقذ) و (الميزان) و (الاربعين) و (المقاصد) و (المشكاة) و (الانوار) و (الاحياء) ، ويرى آسن ان الفائدة التي ترتبت على اقتباس ريمون ، هذا ، من الغزالي اجدى وانفع بكثير من اقتباسات ابن العبري والتي انجزها دون الاشارة الى المصدر الذي نقل عنه بالاضافة الى نسخه ادلة الغزالي كما هي وبالحرف الواحد .

وفضلا عما تقدم كان القديس توماس ممن تأثروا بالغزالي ، ذلك انه استخدم بعض نصوص مؤلفات الغزالي في كتابه الخلاصة الفلسفة (Contra-Gentes) اما باقتباسها مباشرة او بالواسطة عن طريق ريمون ــ مارتي ، وحوالي نهاية العصور الوسطى كان تأثير الغزالي في الغرب بالغا جدا . فخلالالقرن الرابععشر ظهر ثلاثة منالفلاسفة المتشككين (Secplic) ، تأثروا ببحوث (الاشعري) حول نظرية العلية ــ السببية ــ بصورة غير مباشرة عن طريق الغزالي . وهؤلاء الفلاسفة هم : ــ

١ ــ بطرس دى ــ ايلي .
Peter, d Ailly.

٢ ــ نيكولاس الاتركوري .
Nichalaus d, Autricuria

٣ ــ كيوم دي أوكام .
Guilkaum d, Occam

وقد توصل أوكام وهو اكثر الغربيين تأثرا باراء ، كليات ، الاشعري(*) ــ الى مذهب الحدسية (intutive) والمعرفة الآلهية من خلال نقده للنظرية السببية (Causa-Theory) . فمن هذه النقطة شرع اوكام بمذهبه المسمى بمذهب العلل الافتراضية او المناسبة (Occasionalism) في نقد النظرية آنفة الذكر متأثرا بالغزالي وبمعزل عن اي تأثير لفلسفة القديس توماس العقلية(Rationalist)

(Dr. Horowitz : Der Einflus der griechischin, Skepsis auf die Entwicklung der philosophie bei den Araben, 1915).

نشأت اول صلة بين الفلاسفة المسلمين والمسيحيين مع ترجمات جنديسالفي وقد دعا بومكير (C.Baeumker) الراي العام الى وجوب الاهتمام بهذه الترجمات . ومن دراسات هذا العالم Scholar وتلك التي اجراها جلسون (Gilson) ، فيما بعد ، اصبح معلوما ان ابن سينا اثر في الغرب بطريقتين هما : ــ

١ ــ طريقة مباشرة بسببحوثه هو بالذات .

٢ ــ طريقة غير مباشرة بسبب ترجمات جنديسالفي لمؤلفات الغزالي المتضمنة لآراء ابن سينا .

ذلك ان الغزالي كان ، ولحدما من مشايعي ابن

(*) هو ابو الحسن علي بن اسماعيل الملقب بالاشعري ، كان من المعتزلة ثم عارضهم بعد ذلك ويتلخص مذهبه في الدفاع عن مذهب السلف بالاستناد الى النقل والوحي بالدرجة الاولى خاصة ما يتعلق بصفات الله والعبادات توفي سنة ٣٣٠ هـ ــ ٩٤١ م المترجم .

سينا ثم خالفه فيما بعد . وقد عكف الغزالي بادىء الامر على الاسهاب في بحث ومعالجة الافكار التي استوحاها من ابن سينا ثم تصدى لنقدها والرد عليها بعدئذ . لذا تأثر الغزالي بهذا الفيلسوف وتبنى وجهة نظره فيما يتعلق بتصنيفه للنفس الانساني فابن سينا ، مثلا ، يصنف النفس (Soul) من حيث قدراتها واستعدادها الطبيعي الى ثلاثة اصناف هي:

النفس النباتي :	**Vegetabilis**
النفس المدرك :	**Sesibilis**
النفس العاقل :	**Rationalis**

وكذلك ترد التعابير التالية عن اصناف النفس لدى الغزالي في ترجمات جنديسالفي : ـ

النفس النباتي :	**anima - vegitative**
النفس الحيواني :	**anima - animalis**
النفس الانساني :	**anima - humana**

اما فيما يتعلق بالنفس الناطق (المزود بهبة النطق) فتبين لنا ترجمات جنديسالفي عن فروق معينة في المصطلحات الفنية لدى الرجلين ، ومثال ذلك تعريف الغزالي للعقل الفعال ـ الذي يكون فوق سلسلة العقول المتتالية ـ حيث يصفه الغزالي بانه جوهر مستقل بذاته لا يحتاج الى جسد ، وهو تعريف لا نجده عند ابن سينا وذو اهمية بالغة بالنسبة للاهوتيين المدرسيين (سكولاسيين) ايضا، هذا ويطلق الغزالي ، كذلك ، على العقل الفعال تعبير (dator - formarum). كان القديس توماس ، والمتكلمون بصورة عامة ينتقدون المذهب الذري او الجوهر الفرد (atomism) لم يكن تأثير الغزالي في الغرب مقتصرا على ريمون ـ مارتي وحسب ، اذ ان ميكويل ـ آسن يعدي هذا التأثير الى باسكال (Pascal) وحسب رأيه ان التماثل الموجود بين آراء الغزالي وآراء باسكال حول العالم الاخر لا يعزى الى مجرد الصدفة . فالحجة التي يوردها ويستخدمها الغزالي وبمقياس واسع ، للدفاع عن الدين والمسماة الرهان (bealing - pari) قد استخدمها باسكال ولمرات عديدة في كتابه الفكر (Penssé) وقد تناول دي ـ كاس (E. Degas) الموضوع برمته في مؤلفه : (pari de Pascal) بالاضافة الى الدراسة الشهيرة التي اجراها لاشليه (Lacheleir) حول ذلك ان الغرض من ايراد هذه الحجة او الدليل هو اقناع الجاحدين وحملهم على الثبات في اداء الواجب الديني برغم الفرضيات التي تنكر وجود الحياة الاخرة نكرانا تاما ، ويمكن تلخيص هذه الحجة في قياس الاحراج او القياس المشكل dillema التالي وتحت شقين :

اذا تربح ستربح الجميع ، واذا تخسر فسوف لن تخسر أي شيء

(si vous, vous gangs tout, si vous perdez, vous ne perdez rien).

يزودنا الباحثون الذين عكفوا على استقصاء الجذور التاريخية لهذا البرهان بنص تاريخي قصير يورده ارنيبيو ، (Arnibiou) الذي يعتبر منذ عهد بايل (**Bayle**) من اقدم ـ اسبق ـ الرواد لهذا الموضوع . كما ان هناك نص تاريخي لهذا البرهان او الحجة (**betting**) يرد في كتاب سوهند (**Sohund**) الموسوم (**Thelogie - naturelle**) . واخيرا تطرق اثنان من رجال الدين المعاصرين لباسكال الى بحث ما يماثل هذا الموضوع هما صلحون (Silhon) وسرموند (Sirmond,) في كتابين لهما ، وكان بحثاهما مشابهين ، وبدرجة ملحوظة ، لبحث باسكال (الرهان)[1] . هذا ويبحث كل من (بلانشيه) و (لاشليه) كيف وبأي شكل يتفق هؤلاء المفكرون مع باسكال ويختلفون عنه هؤلاء هم المفكرون المسؤولون عن ابراز باسكال ببرهانه الشهير وتزويده بالمصادر اللازمة له . وقد اثبت بلانشيه ، بتحليلاته النصوص المذكورة تحليلا بارعا ، على ان هؤلاء كانوا المصادر التي أخذ عنها وتأثر بها باسكال سواء من ناحية التعبير او الآراء . وكانت خلاصة تحليلاته هذه كما يلي :ـ

ان فكرة باسكال اي « الرهان » قد قال وتاثر بها بشكلها الجنيني ، قبل باسكال كثير من المؤلفين منذ عهد (ارنيبيو) . وقد استغرقت هذه الفكرة رحلة طويلة لتنتقل خلالها من الغزالي الى ريمون ـ مارتي ومن هذا الاخير الى باسكال بعدئذ

والان لنلق نظرة على المقارنات التي اجراها بلانشيه بين الغزالي وباسكال في هذه القضية وهي مقارنات مستندة لدراسات مفرزة بنصوص تاريخية موثوقة . ان باسكال ، كما هو الحال عند الغزالي، يؤمن بأن حواسنا تخدعنا ولايمكن الاعتماد عليها في الوصول الى الحقيقة وهنا يقارن بلاسيوس بين النصين المتعلقين بذلك والواردين على التوالي في كتاب (المنقذ) للغزالي وكتاب (الفكر) Penssé لباسكال . مشيرا الى اوجه التماثل والمشابهه بين النصين . حيث يرد التعبير عن الشك،او الارتياب

---

(1) اسم الكتابين هما

A - "Immortalite de L'ame" **لمؤلفه صلحون**

B - "Demonstration of d L'immortalite de L'ame" **لمؤلفه سرموند**

لدى باسكال في كتابه الانف الذكر بنفس الصيغة والعبارات الواردة في كتاب (المنقذ) للغزالي كقوله مثلا : الحقيقة احلام وماحياتنا الا حلم من احلام اليقظة ، واننا عند الموت نضيف من ذلك الحلم .

لقد كان من العسير ، حقا ، على الفلاسفة الغربيين ان ينظروا الى الاسلام والشرق نظرة مستندة الى الفهم والتسامح وبتجرد من التعصب العنصري والاستعماري .

فبرغم حقيقة ان حركة احياء العلوم (Renaissance) نشأت بسبب استفادة الغرب من التعاليم والفلسفة الاسلاميين وشروحهما ومنقولاتهما ، فقد كان موقف الغربيين ولقرون عديدة ، عدائيا تجاه تلك الحضارة التي ابدعت تلك المنجزات . ويوضح هذا الامر مدى عمق جذور ذلك التحيزات الدينية والاقتصادية والعرقية . ولكن منذ القرن السابع عشر الميلادي فصاعدا اخذ الفلاسفة الغربيون يتحررون من هذه التحيزات وكانت المؤثرات الثقافية ، التي خضعوا لها قرونا طويلة ، عاملا مهما في احداث هذه النتيجة

يشير لبتنز (Leibnz) الى الاسلام بصورة تكاد ان تكون عامة في آلهيته (The Odicce) منتقدا فكرة القضاء والقدر (accident & fate) . والتي يسميها (Fatum - muhammetanum) بينما يمتدح (كانت) الاسلام في كتابه

(La Relegion dans les Limites de la simple Raison).*

قائلا (يتميز الاسلام بفضيلة الشجاعة ، والافتخار في انه لا يلجأ الى العاجز (mirecles) في نشر دعوته بل الى أساليب تستثير اعجاب الغير ، وفي انه مستند والى زهد (asceticism) متسم بالجرأة والبسالة وتعزى هذه الظاهرة الى مؤسس هذا الدين ودعوته الى الايمان بآله واحد يعلو على ماسواه في الكون والطبيعة . كما ان شهامة اولئك الذين خرجوا ، حديثا ، من الوثنية الى الاسلام كانت هي الاخرى من العوامل المهمة التي أدت الى هذه النتيجة . وان روح الاسلام لاتتجسد في انقياد أعمى مجرد من الارادة وحرية الاختيار بل بموالاة كاملة وصادقة لله ، المنزه عن الصفات البشرية والذي هو فوق ذلك كله قدرة تتسم بطراز سام ورفيع من اللطف والطيبة) . ويضيف (كوثيه) في روايته (محمد) ، بعطف وحماس بالغين ، تفوق ، الدين الجديد ، المتصاعد على الوثنية وكذلك ايمان معتنقيه ايمانا صادقا لا رياء فيه . وقد جاءت روايته هذه جوابا استهدف به على وجه التحديد ، الرد على مؤلف لفولتير يحمل العنوان ذاته .. قرأ (كوثيه) القرآن وتأمل بعض آياته بأمعان ، والتي وردت بعدئذ في ترجمة ميجرلين (Megerlin) **الالمانية للقرآن . وآنذاك كان** النبي قد عرف في المانيا بوصفه نبي دين وعقل معا ومؤسسا لدين طبيعي (**Natural-Relegion**) . وقد تم في ذلك الوقت نشر ترجمتين للقرآن هما ترجمة ميجرلين الانفة الذكر ١٧٧٢م وترجمة (بويسين) (**Boyesin**) ١٧٧٣ م كذلك كتاب بعنوان (حياة محمد) ، لطوربين (**Turpin**) ، والذي يصف فيه محمدا كـ (نبي عظيم) و (عقل ثاقب نير) و (مؤمن صادق) و (المؤسس لدين طبيعي) .

وبرغم ان نيتشه هاجم المسيحية بضراوة في مؤلفاته كافة والف كتابه : ضد المسيح (**anti-christ**) لغرض مهاجمة المسيحية بالذات ، فهو لا يدرج الاسلام ضمن بحوثه ومحاكماته العقلية بل يتطرق اليه في خاتمة كتابه ويخصه بالثناء والتقريظ .

بلغت المؤثرات الاسلامية ذروتها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، ثم برزت الى الوجود بعد ذلك ردود فعل ضد هذه المحاكاة المتطرفة لتلك المؤثرات وبدأ الاتجاه نحو الحركة الهيلينية (Helenism) يحل محل الاعجاب والاتجاه نحو ماهو اسلامي وكانت حركة احياء العلوم الاوربية (الرينسانس) نتيجة وثمرة لهذا الارتكاس (reaction) . فخلال القرن الثالث عشر الميلادي ، اصبحت مدرسة او جماعة اوكسفورد احد فروع انشطة الترجمة والشرح وفي هذا المكان ترجم الاسكندر ـ نكمان (Alexander-Neckman) عن العربية ، لاول مرة ، بحوث ارسطو في النفس والله . وفي المدرسة نفسها ترجم ميخائيل سكوت كتابا لابن البطريق في الكونيات (Cosmography) والعديد من مؤلفات ابن سينا وابن رشد . ومن اعضاء مجموعة اوكسفورد الاخرين هو روبرت ـ كروسيتيست (Robert - Grossetest) . وقد تجلت جهوده في ترجمته للفلسفات الاسلامية والاغريقية . ثم روجر ـ بيكون (R. Becon) (١٢١٠ ـ ١٢٧٧ م) وهو أبرز واهم رجالات مجموعة اوكسفورد على الاطلاق . ان هذا العالم العظيم الذي بحث في اللغة والرياضيات والطبيعيات قد اتهم ، خلال القرون الوسطى ، كساحر من السحره وبسبب ذلك ادين وجرم . كان تأثير

(*) اعتمدنا على النسخة الفرنسية للكتاب المذكور(المؤلف)

الفلاسفة والعلماء المسلمين كبيرا جدا في هذا الرجل وجد فرانسس ـ بيكون والذي هو الاخر بالذات كان من مؤسسي « التجريبية (empricism) وبدراساته العلمية وما سواها ترتبط عبارة « تجربة » ارتباطا وثيقا . وكما كونت آراء ابن رشد وابن سينا جذور المذهب الفعلي (Rationalism) الغربي كذلك اثرت اراء علماء الطبيعة (Naturalist) المسلمين والرازي وابن الهيثم في « التجريبية » الانكليزية :

ففي مدرسة باريس، ومنذ بدء تأسيسها، لقيت نصوص ارسطو وشروحها العربية اهتماما بالغا . وكان كيوم الاكسيري (Guillaume de' Auxerre) وفيليب دي كريف (Phillippe de Greve) زعيمي هذه الحركة . كما عكف كيوم دي اوفرن (G. d' Auvergn) على دراسة ابن جبيرول ونقد ابن سينا وابن رشد والرد عليهما. بيد انه سرعان ما بدا الاتجاه العام المناهض للفلسفة الاسلامية في التنامي والاقبال على تعلم ارسطو بالفتور مباشرة ومنذ عام ١٢٣١م فصاعدا جدد البابا غريغوري الرابع العمل بالمرسوم القاضي بحضر تعليم ارسطو ومؤلفاته . وفي السنوات التالية ازدادت، وباضطرار الاجراءات التي اتخذها الباباوات ضد الجامعات قساوة وصرامة . وتمت ادانة وتجريم شخصيات بارزة مثل دونز ـ سكوت وبيكون ثم المتكلم نيكولاس الاتروري عام ١٣٤٦ م .

وضعت مؤلفات ابن رشد من التداول واعتبرت محرمة . واستمرت هذه الاجراءات الصارمة سارية المفعول حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي هذا وتنبغي الاشارة الى ان سبب ذلك لم يكن مجرد العداء والتعصب بل له ايضا جذورة الفكرية (الايديولوجية) اذ ان هذا الاتجاه المعادي بصورة عامة ما هو الا رد فعل ضد الارسطوطاليسية بالذات ؛ وهكذا فان العقلية (Menlalitx) الافلاطونية المناهضة للارسطوطاليسية والتجريب العملي المناهض للنزعة الجدلية قد تعززت مكانتهما في وقت كانت الفلسفة الاسلامية عاجزة الاستجابة لحاجات الغرب الفكرية وفق المحاورات الافلاطونية .

ذلك لان معظم تلك المحاورات (Platoe's dialogues) لم تكن معروفة لدى المسلمين وان ما عرفوه منها كان ناقصا حينما افاقت الفلسفة الاسلامية وفتحت عينها على هذه المحاورات . في نهاية القرن الخامس عشر ادى نشر (Publication) ـ طبع ـ الكتب العربية المترجمة الى اللاتينية ؛ بصورة واسعة الى جعل مراسيم الحضر ـ المنع ـ الصادرة من رجال الدين غير مجدية لحد ما وسرعان ما انتشرت هذه الكتب متجاوزة نطاق مناهج الجامعات ؛ ولكن نظرا لان الصراع، في مجال البحث والفكر ؛ قد تجدد الان بين الارسطو طاليسية من جهته ؛ والاتجاه الفكري المؤيد لكل من الافلاطونية والتجريب من جهة اخرى لذا فان الخلفية (background) اللازمة لظهور حركة احياء العلوم (الرينسانس) اصبحت متواجدة وفي متناول اليد .